

## كلمة السيد وزير التربية الوطنية والشباب الأستاذ الحبيب المالكي بمناسبة تنصيب اللجنة الدائمة للبرامج سنة 2004

عرفت المدرسة المغربية الحديثة منذ ميلادها محطات مفصلية، شكلت انعطافات تركت آثارا دالة في مسارها التاريخي وطبعته بطابعها، ومن ثمة غنى ذاكرتها وخصوبتها، وضرورة استحضارها بمناسبة كل تفكير يسعى إلى الارتقاء بمنظومة التربية والتكوين. يتوقف العدد الأول لمجلة **تحولات تربوية** عند محطة من المحطات الهامة للذاكرة الحديثة، تلك الخاصة بإرساء اللجنة الدائمة للبرامج والمناهج سنة 2004، التي أوصى بها الميثاق الوطني للتربية والتكوين في المادة 107، حيث يقدم العدد لقرائه الترجمة العربية لنص الكلمة التي ألقاها وزير التربية والشباب آنذاك، السيد الحبيب المالكي، الرئيس الحالي للمجلس الأعلى للتربية والتكوين في حفل تنصيب هذه اللجنة. وهي كلمة توجيهية تقدم التوجيهات وتحدد مسار عمل اللجنة وأفقها. وتنشر مجلة **تحولات تربوية** هذه الوثيقة، سعيا منها إلى ربط حاضر التفكير في البرامج والمناهج بماضيه ترسيخا للمكتسبات، وتجاوزا للاختلالات، واستشرافا لما يساعد على رفع التحديات الجديدة.

السيد مستشار جلالة الملك، رئيس اللجنة الخاصة بالتربية والتكوين؛

السيدات والسادة الوزراء؛

الزملاء والأصدقاء الأعزاء؛

أعزائي الحضور، أعزائي الضيوف؛

اسمحوا لي، بادئ ذي بدء، أن أرحب بكم في هذا الاجتماع الأول للجنة الدائمة المعنية بالبرامج، والذي اعتبره حدثا هاما في حياتنا التعليمية والثقافية، وفي عملية إصلاح نظام التعليم التي بدأناها، وفقا لروح الميثاق الوطني للتربية والتكوين.

ويسعدني أكثر، أن هذه اللجنة التي نشكلها اليوم، لا تقتصر على الخبراء والمتخصصين في التدريس والتعليم؛ بل تشمل أيضا شخصيات رائدة على المستوى العلمي والثقافي والاقتصادي والسياسي. ولذلك فإنني أعرب عن امتناني لجميع هذه الشخصيات على قبولهم المشاركة في أعمال هذه اللجنة، وبالتالي وضع تجاربهم ومهاراتهم العلمية والإنسانية وقوتهم الرمزية والمرجعية تحت تصرف هذا المشروع التربوي الوطني؛ الذي سيساهم، دون أدنى

شك في تعزيز إنجازاتنا في مجال التعليم والتدريب. وأنا على اقتناع بأن الدعم الذي سيقدمونه لوزارتنا، من خلال آرائهم وتقييماتهم وملاحظاتهم ومقترحاتهم فيما يتعلق بالبرامج، سيسمح لنا بالقيام بالإصلاحات الضرورية في مسيرة التعليم ببلادنا، غاية في تأمين حاضر ومستقبل أبنائنا.

وأود أن أشير، إلى أننا لم نقتصر في تشكيل هذه اللجنة على المختصين المغاربة فقط؛ بل فضلنا توسيعها بإشراك بعض أصدقائنا من المغرب العربي وأوروبا. والحقيقة أن إصلاح المنظومة التعليمية لا يمكن أن يقتصر على حدود جغرافية معينة، خاصة عندما يطمح هذا الإصلاح إلى استثمار المعرفة الإنسانية في شموليتها، والتي تعتبر رأسمالا رمزيا مشتركا قادرا على تعزيز مكتسباتنا وتعميق حس الانفتاح لدى المجتمع.

ومن هذا المنطلق، أود أن أحيي بحرارة المفكر الفرنسي وصديقنا العزيز السيد إدغار موران، الذي وافق على الانضمام إلينا، وكذلك ضيفنا العزيزين: البروفيسور أليخاندر تيانا فيرير، القادم إلينا من إسبانيا، وزميلنا الأستاذ الجامعي أحمد جبار، الوزير السابق والباحث في تاريخ الرياضيات بالمغرب العربي، والذي تحمل بدوره تعب الرحلة، من فرنسا. ولذلك، فإن اجتماعنا اليوم يكتسي طابعا خاصا بحضور هاتين الشخصيتين المرموقتين.

وأود أيضا أن أضيف، أن هذه اللجنة تحتل مكانا استراتيجيا في عملية إصلاح نظام التعليم والتكوين. ونحن ندرك جميعا أننا من خلال هذا الإصلاح الذي نقوم به، لا نسعى فقط إلى ضمان جودة البرامج والكتب المدرسية والمصادر التعليمية، لكننا نطمح أيضا إلى إقامة جسور ثقافية، بين إصلاح نظام التعليم وجميع مشاريع الإصلاح التي يظطلع بها المغرب الديمقراطي الحديث، تحت القيادة المستنيرة لصاحب الجلالة محمد السادس نصره الله، سواء على المستوى الاجتماعي أو الاقتصادي، أو على مستوى التنمية الثقافية والسياسية.

علاوة على ذلك، أود أن أؤكد أن طموحنا وآمالنا وإرادتنا قوية، لدرجة أننا لم نتوقف أبدا عن مسعى تفعيل الميثاق الوطني للتربية والتكوين، لكي يؤدي الإصلاح ثماره، وأن نكون في المقدمة خلال هذه العشرة المخصصة للمنظومة التربوية بكل مكوناتها. وفي هذا الإطار، تدرج المرحلة الحالية التي تدعو إلى تعميق عملنا في هذا المجال لتلبية احتياجاتنا، مع الأخذ بعين الاعتبار ضرورة التفاعل مع أساليب التفكير الأخرى. وأريد أن أؤكد هنا أن أيا من قراراتنا لم يتخذ دون اللجوء إلى التشاور والحوار. وإننا اليوم نسعى إلى إضفاء طابع مؤسسي على روح التشاور وحس الاستماع من خلال الاستفادة من مساهمات أفضل المهارات الوطنية والدولية التي تدعم خياراتنا.

وبالتالي، فإن هدفنا ليس إنشاء لجنة برامج دائمة بهدف التتبع والمصادقة على كل ما نخطط له ونسعى إلى تحقيقه؛ بل إننا، من خلال هذه اللجنة، نطمح إلى القيام بجهد علمي وفكري مستقل وجريء ونقدي وأخلاقي.

نحن لا نبحت، سيداتي وسادتي، زملائي الأعزاء، عن أي شكل من أشكال التحقق المحدد مسبقا، بل نريد لهذه اللجنة أن تشكل إطارا للتوجيه والحوار والاقتراح، وقوة للمقترحات الفعالة، وأن تطرح الملاحظات والاعتراضات اللازمة، التي يتطلبها حس المواطنة، مع الموضوعية، والوعي الأخلاقي، والتربوي.

وقد يتساءل البعض، كيف كنا نتصرف في ظل غياب لجنة بهذه الروح وهذه الشخصية ونحن على رأس هذه الإدارة، أو ماذا فعلت الوزارة خلال السنوات الأربع الأولى من تنفيذ الميثاق. وهنا أود أن أقول بكل صدق إن الوزارة لم تدخر جهداً في اتجاه التشاور والحوار حول كافة المسائل المتعلقة بالتعليم والتكوين. وكانت اللجان الداخلية مشرعة باستمرار أمام الخبرات الفكرية والثقافية والتعليمية الخارجية. كما رافقت اللجان المتخصصة الوزارة، في مجالات الاختيارات، والتوجهات التربوية، والبرامج، والمناهج، وإصلاح الكتب المدرسية. علاوة على ذلك، لم يتردد بعض أعضاء هذه اللجان في الانضمام إلى لجنة البرامج الدائمة.

واعتباراً للتجارب السابقة، سيتعين على لجنة البرنامج الدائمة أن تحدد مهامها، ووظائفها، وأدوات عملها، وإنتاجها. خصوصاً أن اللجنة تتوفر على نماذج مختلفة من طرق الاشتغال، علاوة على أن أعضاءها يتقاسمون نقاطاً مشتركة؛ من حيث القيم والمبادئ والتحديات، مما يسمح لهم بتطوير لغة مشتركة، على الرغم من اختلاف تخصصاتهم وخبراتهم ووجهات نظرهم.

وتشكل جهود الإصلاح، بالإضافة إلى مقتضيات الميثاق الوطني، وإنجازات الوزارة في السنوات الأخيرة، تراكمها - هاما - لا يمكن الاستهانة به - قادراً على تعزيز الإنجازات، بهدف تحقيق جودة التعليم، والمشاركة في عملية التغيير، وتطوير الذكاء والمهارات.

نحن نؤمن إيماناً راسخاً بضرورة الملاءمة مع الابتكارات، والتحكم في وتيرة التغيير، وتطوير التفكير التربوي؛ وذلك بفضل المسؤولية والتقدم والبناء واستغلال المكتسبات المتحققة في هذا المجال. كما يجب علينا الحرص الصادق على احترام الجوانب الأساسية للشخصية المغربية من خلال ثوابتها ومتغيراتها، سواء على مستوى مكوناتها التاريخية والحضارية والإسلامية، أو على مستوى الثقافتين العربية والأمازيغية، في تراثهما وتنوعهما.

وينبغي أن نتذكر أن الفعل التربوي ليس ثابتاً؛ بل يمثل دينامية متجددة، تتفاعل مع متطلبات المجتمع. ومن هذا المنطلق، ينبغي أن تستجيب الفعالية التعليمية لاحتياجات المجتمع، وأن تظل منتهية باستمرار لشواغله.

واسمحوا لي أن أوضح أنني لا أريد الخوض في مختلف الأبعاد الفنية أو الإدارية الخاصة بالبرامج. ولا أريد أن أذكر بمختلف الإنجازات التي تحققت في هذا المجال. وإنما فقط أذكر بأننا حققنا قفزة في رؤانا وقراراتنا وبرامجنا، انطلاقاً من القيم التي حددها الميثاق الوطني للتربية والتكوين: قيم الإسلام، وقيم التسامح، والهوية الحضارية والثقافية والأخلاقية واللغوية، وقيم المواطنة وحقوق الإنسان. ولم نعتبر قط هذه القيم مجرد شعارات؛ بل آمناً بها كل الإيمان، وحرصنا على الاهتمام بها نحو غايتنا النبيلة.

لقد سعينا جاهدين لضمان تحقيق أهداف نظامنا التعليمي، واستهداف متعلمي اليوم لتكوين مغاربة المستقبل. وفي الواقع، أردنا من خلال منظومة التكوين إنشاء نموذج المواطن الذي يجب إعداده للحاضر والمستقبل؛ مواطن يعيش في وئام مع نفسه وبيئته، وقادر على التطور في عالم متغير؛ بتأكيد حقوقه وواجباته، وضمان احترامه لحقوق الآخرين وواجباتهم.

ومن هذا المنطلق، اعتبرنا أنه من الضروري للغاية تنمية القيم الأخلاقية والمعنوية، المتعارف عليها عالميا، لدى المتعلمين، والمبنية على مبادئ المواطنة، والديمقراطية، والنزاهة، واحترام الآخر، والتنوع، واللاعنف، والتضامن. وهذه هي الشروط التي لا غنى عنها لتحرر الروح الإنسانية؛ وهي أيضا النتيجة الطبيعية والهدف النهائي للعملية التعليمية. وفي نفس السياق، كان طموحنا ولا يزال هو التحسين الدائم لبرامجنا، من حيث تنمية المهارات التعليمية والثقافية واللغوية، التي من شأنها أن تسمح للأجيال الجديدة بالازدهار، وتعزيز روحها العلمية وحسها النقدي، لتكون قادرة على المشاركة في التنمية الاجتماعية، والاستجابة لمتطلبات البيئة الاقتصادية والتكنولوجية.

وسترون معي، أننا لم نكن نستطيع تحقيق مثل هذه الطموحات بقرارات إدارية بسيطة، أو بخبراء مهما كانت نوعية تكوينهم وكفاءتهم. ومن هذا المنظور، نتوقع منكم أن تدعمونا بأفكاركم النيرة وخلاصات مناقشاتكم المستفيضة؛ حول سبل تطوير المنظومة التربوية بكل مكوناتها. وإن معرفتي الكاملة بإمكانياتكم الفكرية ومكانتكم كرمز تسمح لي بالتأكد من أن نتائج عملكم ستكون جد مثمرة وبناءة.

واسمحوا لي، مرة أخرى، أن أكرر امتناني لكم. كما أتقدم بالشكر إلى السيد مزيان بلفقيه الذي شرفنا بحضوره؛ والذي يعد تعبيرا عن اهتمامه المستمر ودعمه الواضح لمختلف مشاريع إصلاح منظومة التربية والتكوين؛ وهو ما من شأنه أن يجعل من الميثاق الوطني مرجعا قويا..

مرة أخرى شكرا لكم جميعا.